التعددية السياسية وأزمة الديمقراطية

□،، محمد اللوزي

تستطيع الأحزاب أن تحقق حضورها الحيوي على صعيد الواقع حينما تؤمن حقيقة بالديمقراطية وعيا وممارسة. وحينما تدرك أنها لا بد أن تكون في مستوى ما تنادي به ولم تستطع بعد تمثله.. وما لم تتجه إلى هذا الالتزام القيمي والمنهجي بالديمقراطية فإنها ستظل مقصية وغير فاعلة يسودها الاضطراب في الرؤى والاتجاهات وتعيش أزمة الوعي بالممكن والمتاح.

وهنا تغدو أي مطالبة للآخر «السلطة» بممارسة الديمقراطية ونقدها مجرد فراغ كلمات وشيء من المزايدة ما بقيت هذه الأحزاب منطوية على ذاتها غير قادرة على تمثل الجانب الحضاري للديمقراطية.. وهي نظام حل مشكلات بطرق منتظمة.. ويبدو من الصعب أن تطالب الآخر بديمقراطية عالية الجودة في حين أنها – أي هذه الأحزاب – خالية تماماً من ممكنات وشروط العمل السياسي المتحضر.. ومن يتأمل واقع التعددية السياسية والحزبية في بلادنا يصل إلى نتيجة مؤداها أن هذه التعددية قد أصيبت بالضمور والتراجع إلى حد خيبة الأمل فيها.. ولا نبرئ أحدا هنا في هذا التراجع.. غير أن قصداً وافراً يقع على عاتق أحزاب المعارضة التي لا تمتلك حتى اليوم مشروعها في المسألة الديمقراطية. والتي تمارس معها لعبة الغواية ولوكها كمفردة معزولة عن الممارسة وتحبذ إلغاء المعاذير على الآخرين في التعثرات التي تقع فيها بين الحين والآخر إن لم يكن يومياً.. بسبب نزوع هذه التعددية إلى التسلط والهيمنة وإلى المماحكات السياسية وهو تسلط يمكن كل حزب من أن يمارس القمع على كيانه كتنظيم بحيث ينعدم التفكير المسئول والجاد والرؤية المستقبلية ويغدو الكيان الحزبي خاضعاً لهيمنة القيادات الذين يمنحونه ويمنعونه ما يرغبون فيه بمعزل عن الأيديولوجيا التي بموجبها تشكل هذا الحزب أو ذاك، وبمعزل ايضا عن اعتمالات الواقع بكل ما فيه سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا.. أقصد هنا النظرة الموضوعية والمنهجية لتشكيل موقف مسئول حيال أي قضية وطنية مرهونة بقيادات الأحزاب التي انعزلت عن جماهيرها وتحولت إلى سلطة قامعة تنوب الكل في تحديد مصير الكل.. وهنا نقع في جوهر الأزمة الديمقراطية. حيث تبقى الأحزاب مجرد ظاهرة صوتية لا تستغل بأسلوب أمثل طاقة كوادرها إن لم تكن قد ساهمت في إزاحتها تماما بحيث تتحول الديمقراطية من أحد أهم عناوينها.. وهي إطلاق الطاقات والقدرات وإتاحة الفرص واستغلال الإمكانيات باسلوب أمثل إلى عملية قمع وإزاحة وممارسة لغة إدانة واتهام وترحيل أزمات وإلقاء المعاذير على الآخر وتحميل «السلطة» سلبيات هي أساساً من إفرازات الأحزاب التي لم تنسجم مع ذاتها فانعكس ذلك على مستوى علاقتها مع الآخر ولعل غياب النقد داخل كل حزب وسيطرة لغة الادعاء وهيمنة الفرد كل ذلك قد أضر بالديمقراطية كسلوك حضاري. وإلا ماذا يعني أن تقف الأحزاب في ذات الرؤية الضيقة. وعدم القدرة على امتلاك روح المبادرة والتجديد والإبداع؟! ماذا يعني بناء قيادات حزبية عقود زمنية بكاملها تتربع في القيادة فيما تبقى الكوادر عاجزة وغير مستغلة بشكل صحيح ومستلبة كامل حقوقها المدنية؟!

ولماذا يبقى الحزب صورة عاكسة للتخلف يعيد إنتاجه ويضيف إليه ما يزيد الواقع إرهاقاً ويسد نوافذ المستقبل الذي نريده؟!

بالتأكيد تدرك الأحزاب وفي المقدمة أو على رأسها القيادات الحزبية أن كثيرا من الاختناقات الديمقراطية والعجز عن فهم الواقع والإضافة إليه وخلق تحولات إيجابية هو نتاج عجز الأحزاب ذاتها من انتهاجها الديمقراطية مبنى ومعنى.

نحن إذاً أمام اخفاقات كبيرة وتداعيات مستمرة للديمقراطية كقيمة حضارية.. لا يمكن مطلقاً أن نلقي باللوم كله على «السلطة» وإلا نكون حين إذ غير جادين في التخلص من السلبي وتجاوزه وربما مرد ذلك إلى أن إشاعة الديمقراطية تقضي على مستقبل أفراد أو جماعات ترى في إبقاء الحال ما يمنحها جوانب استحقاقات غير مشروعة من المال والجاه وأمور أخرى..

وهنا تصبح التعددية السياسية والحزبية مجرد ملاذ للتفاخر بالأموال والسلطان. وضمن هذا المستوى تضمحل لغة التعايش والسلم الاجتماعي وتحل بدلا عنها القهرية ليبدو الكل يمارسها من موقعه الذي لا يريد أن ينزاح منه..

الخطاب العربي والتواصل المعرفي

د.إسماعيل نوري الربيعي

□ .. إلى أي حد يمكن الوثوق بالاستراتيجية التواصلية التي يقف عليها العرب في راهنهم، هذا الأخير المبتلى بالمزيد من الاختلاطات حيث الخوف والتوتر والتبرير والانقطاعات المفجعة.

واقع يخضع لهيمنة وسطوة الاتجاهات والتفكير الطويل والعميق برجحان هذا الطرف على حساب الآخر، والسعي الحثيث نحو ترسيم معالم النبذ وتعزيز مسار الاقصاء، حتى لتكون النتيجة وقد تكلست عند الخروقات التي تعمد نحو توظيبها لجهة بإزاء الأخرى وفريق نحو تجميع الجهود للنيل من المقابل حتى ليكون التعزيز وقد تكرس عند توثيق ملامح الخصومة والنبذ.

الدمج والتعزيز

● كيف يمكن النظر في صلب بنية الخطاب العربي السائد والآليات السائدة فيه،هذا بحساب أهمية تركيز الموجهات نحو الطريقة التي يتم بها توصيل الأفكار والمجال الذي يمكن الوقف عليه في سبيل تحقيق فعالية التحليل.، وما بين التوصيل والتحليل ،يكون الركون بالعادة نحو تعزيز مجال السلطة المرجعية للخطاب، واعتباره المستند الرئيسي الذي يتم من خلاله تحقيق الحضور، ومحاولة الافلات من النقد الذي يمكن أن تستحضره الاتجاهات المتعارضة، ومن هذا يتبدى مجال الركون إلى البحث عن أهمية الحصول على الموافقة والتطابق مع السيل الجارف والكبير الذي يمثله الرأي الشائع والأعم، حتى وان تمت التضحية بالبعض من الأسس والقواعد التي يقوم عليها ذلك الخطاب، بل أن الوضع الذي يتبدى عليه الخطاب سرعان ما يكون عرضة للموضع الذي تفرضه الظروف السائدة، من دون توجيه النظر نحو البنية السائدة فيه، أو حتى التطلع نحو تفكيك بنيته المعرفية، فالأمر يبقى رهنا بالحضور على حساب التواصل الفعلي، حتى ليبدو الأمر وكأنه يعنى بحلقة سباق لا قوام فيها سوى الحصول على الحظوة وتكثيف الوجود.

ولعل المجادلات التي اندرج فيها الخطاب العربي بقيت تعيش لحظات التوزيع الشكلي على حساب المضمون الفعلي، في الأعم الأغلب من القضايا الرئيسية والفاعلة التي غطت المجمل من الحياة العربية، حيث العناية والتركيز بالتحويل من مبحث إلى آخر، انطلاقا من تكريس مجال النظر نحو طبيعة الموجه الجديد الذي يمسك بزمام القضية القديمة،حيث الابقاء على المضمون القديم والاستمرار على تقديمه بثوب جديد.ومن هذا الواقع يكون الاستشراء المفجع لواقع الجدل العقيم، على حساب الاندراج الواعي بالحوار المثمر البناء.انه الاستمرار لذات الأفكار والموجهات والسياقات، من دون التفكير ولو للحظة واحدة بأهمية الوقوف على ضرورة القطيعة المعرفية.

بلاغة الاقناع

● بقيت وظيفة الخطاب العربي تعاني من الحضور الشديد لشبكة التأويل القديمة، حيث المعنى الصلب الذي يفرض بتفاصيله على المجمل من العلاقات السائدة،ومن هذا بقيت التمثلات ذاتها من دون أن تتعرض للتغيير أو التبديل، هذا بحساب الوقوف على موجهات الفعل ومدى القدرة للوقوف على المعطيات الجديدة التي يفرزها الواقع.ولعل موطن الحراجة التي يعاني منها الخطاب العربي تحديدا، يبقى يدور في فلك طبيعة التوجه، حيث التطلع نحو مدى القبول به، على حساب البحث الأصيل والجاد في المصدر الذي يحفزه ويؤسس له.واذا كانت الوقائع هي التي تؤثر بفاعلية ملفتة في توجيه الخطاب العربي، فإن مدركات التمثل والتأويل تبقى تعاني من هيمنة الأيديولوجيا تلك التي تبقى بمثابة الموضوع الجاهز،الذي يتم من خلاله قطع الطريق على الفواصل والممكنات المتاحة لقراءة الظاهرة.

الوقوف الطويل والمل على المعنى الأصل، جعل من مسألة الممكن في المجال العربي تعاني من الوهن والهزال الفاضح، حتى راح الاجترار والتكرار يحتكر مجمل الفعاليات المرتبطة بالتمثل والتأويل، حيث الخضوع للموجه الواحد، والذي يكون عقبة في وجه المتاح الذي يمكن أن تقدمه المدركات الواعية للسياقات واللغة.ومن هذا يكون الحضور الشديد لسطوة الاتجاه والتيار، حيث السعي المرهق والمسف نحو ترسيخ المعطيات الثابتة التي لا تقبل بالتغيير أو التبديل.، بل أن صورة الاكتمال التي يتبدى فيها المثال تبقى طاغية على كل ما عداها من صور ومدركات في المجال العربي.حيث التكييف لصورة المثال الذي يتم من خلالها شخصنة الواقع وجعله بمثابة الأس الموضوعي لكل فكرة أو اشكالية. لتكون بمثابة المرجعية الأصل التي تقوم عليها شرعنة الأيديولوجيا، تلك التي تعمق بحضورها الكثيف في الواقع العربي، واتخاذها بمثابة الدريئة في لجة الصراع حول السلطة الرمزية.وهكذا تتم الاطاحة بآليات الخطاب والامكانات التي يمكن التحصل عليها على مستوى التحليل، في سبيل الانتصار لصالح التبليغ والتبشير، لتكون المحصلة وقد تركزت عند العناية بموجهات التأثير وتكريس الزخم العاطفي والحماسي على حساب الطرح الموضوعي الذي يمكن أن يتوافر عليه الخطاب.

من واقع السيطرة التي تفرضها قوة حضور الرشيد والتقليدي، تتبدى الحظوة والمكانة والأهمية لخطاب الترويج والاقناع، هذا الذي يحضر بزخم شديد، حيث التطلع إلى البحث المحموم عن المتلقي، ومحاولة دمجه في الحقيقة التي يتم الاعلان عنها من مختلف الفرقاء المتنافسين، والذي لا يرضون بغير الحقيقة المطلقة بديلا.ومن هذا الثقل الذي تعانيه تلك الحقيقة تكون القراءة النقدية مجرد واجهة يتم الاستناد اليها لتوجيه محددات التنافس وتأجيج الصراع، في تحريف ملفت لدور ووظيفة النقد، فيما تكون التشكلات والآليات الخطابية، مجرد عارض طارئ، قد يتم توظيفه أحيانا، ولكن لدواع جمالية فقط.

الوحدة اليمنية عامل أمن واستقرار في المنطقة

أحمد محمد عبدالغني

■ مع بزوغ فجر النهضة كان قدر اليمنيين ان يتشظى وطنهم بين حكم استعماري بغيض وحكم استبدادي متخلف التقيا في تحقيق مصالحهما الذاتية على حساب مصالح الوطن الكبير واحتياجاته وتطلعاته.

ورغم ما كان يبدو من تباين ظاهري في مستوى التفكير والأهداف بينهما فقد أثبتت التطورات التي عاشها الوطن اليمني بشطريه تطابق أسلوب ووسائل الاستبداد الإمامي والاستعمار البريطاني في الكثير من القضايا:

– فالطرفان عملا معا على عزل اليمن بشطريه عن العالم، الأمر الذي حرم اليمنيين من الاستفادة والتفاعل مع حركة التطورات والتغيرات التي كانت جارية على المستوى العربي والدولي.

– والطرفان عملا معا على عزل كل شطر عن الشطر الآخر في اطار هدف بغيض يتجاوز التشطير الجغرافي والسياسي إلى التشطير الاجتماعي والنفسي والثقافي

والطرفان عملا معا على تكريس الجهل والتخلف وإثارة النعرات وزرع الخلافات والأحقاد بين أفراد المجتمع.

– والطرفان عملا معا في خنق وقمع حركات التنوير ومحاولات التطوير التي كانت تحاول الانطلاق هنا او هناك.

وجاءت الثورة اليمنية (٢٦ ستمبر و ١٤ أكتوبر) لتعلن الميلاد الأول ... اليمن الحديث، حيث كان هناك وعي مسبق بأن فك عروش الإمامة وطرد فلول المستعمر هو المرحلة الاولى وليست نهاية المطاف وأن الثورة لن تحقق غاياتها كاملة إلا باقتلاع تركة التخلف – بما فيها التشطير – التي زرعتها العهود المظلمة .. وهو ما عبر عنه الهدف الأول من أهداف الثورة بالقول (ومخلفاتهما).. فقد ظل التشطير بالفعل هو الجرح الدامي الذي أنهك الوطن وخلق حالة من الإرباك، قائمة على التناحر والاختلاف والتنازع الثنائي الذي بدد الكثير من الجهود والامكانيات، وعرقل الكثير من المحاولات التطويرية، وشغل الجميع في هموم وقضايا تعتبر هامشية مقارنة بما كان يجب ان يتم التركيز عليه والاتجاه نحوه.

ولذلك لا أعتقد ان أحداً منا يمكن ان ينسي تلك المشاعر الفياضة حين كانت دموع اليمانيين تنهمر فرحا يوم الثلاثاء ٢٢ مايو ١٩٩٠م ،سواء أثناء اللحظات التي كان فيها الرئيس علي عبدالله صالح يرفع علم الوحدة خفاقا في سماء مدينة عدن .. أو خلال الدقائق التي قرئ فيها بيان إعلان قيام الوحدة اليمنية والذي نص على ان تقوم بين شطري الوطن اليمني (وحدة اندماجية كاملة تذوب فيها الشخصية الدولية لكل منهما في شخص دولي واحد يسمى (الجمهورية اليمنية)، ويكون للجمهورية اليمنية سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة).

فقد كان ذلك اليوم بالتأكيد أهم وأبرز محطة حياتية في تاريخ اليمن الحديث بالنظر إلى ما أحدثته الوحدة من تغيرات كلية في الواقع .. فمن لغة السلاح انتقل الناس إلى لغة الحوار ومن مشاعر الشك والريبة انتقل الناس إلى مشاعر الطمأنينة والسلام والوئام الاجتماعي .. ومن التشبث برواسب وعقد السياسات العقيمة إلى الحديث عن الديمقراطية والتعددية والتداول السلمي للسلطة وحقوق الإنسان وبناء المجتمع الحديث....الخ.

ولأن التشطير قد مثل بؤرة من بؤر الصراع الإقليمي والدولي في سباق الاستقطابات التي كانت تديرها سياسات الحرب الباردة.

فقد كانت القيادة اليمنية تعي المخاوف التي كانت تطرح هنا وهناك وبالتالي أهمية الدور الايجابي الذي .. يجب أن تلعبه الدولة اليمنية الجديدة على المستوى الإقليمي.

ومن هنا جاءت تأكيدات الرئيس علي عبدالله صالح المتعددة بأن دولة الوحدة ستكون عامل أمن واستقرار في المنطقة كما هو الحال في اللقاء الذي جمعه بالرئيس الأمريكي جورج بوش الأب بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٩٠م .. وكذا خلال لقائه بالملك فهد في منطقة حفر الباطن في مارس ١٩٩٠م.

ورغم الانعكاسات السلبية التي خلفتها حرب الخليج الثانية على أوضاع اليمنيين فقد كان هناك تصميم يمني على بذل أقصى الجهود من أجل تعزيز فرص الوفاق والاتفاق والتعاون والتكامل مع دول الجوار ،حيث برز ذلك من خلال التوقيع على اتفاقية ترسيم الحدود بين اليمن وسلطنة عمان وفق مبدأ لاضرر ولا ضرار (أواخر عام ١٩٩٢م)، وجاء البيان الصادر بمناسبة انتهاء حرب الانفصال (يوليو ١٩٩٤م) ليؤكد ثبات هذه السياسة قائلا :(وبهذه المناسبة نؤكد مجدداً أن وحدة اليمن لن تكون إلا أمنا واستقرارا لمنطقتنا التي سوف نواصل العمل مع دولها ومع جميع الدول الصديقة والشقيقة لما فيه خير شعوبنا وأمنها وتطويرها).

وإذا كان قبول اليمن لحل مشكلة حنيش حلا سلمياً من خلال التحكيم قد أكد حكمة القيادة السياسية وقدرتها على استيعاب المستجدات.. فإنه بعد اندحار مشروع الانفصال وانقشاع الغيوم التي أحدثتها حرب الخليج الثانية ،بدأت الخطوات الحثيثة نحو عملية تعزيز علاقات اليمن وأدوارها إقليمياً ... ففي فبراير ١٩٩٥م جاء التوقيع على مذكرة التفاهم بين حكومتي الجمهورية اليمنية والمملكة العربية السعودية لينتقل بالحديث عن موضوع الحدود بين البلدين نحو خطوات عملية جادة نتج عنها اتفاق الطرفين على حل نهائي لهذه المشكلة في يوليو ٢٠٠٠، وهو ما أشاع جوا من الثقة ليس على مستوى البلدين والشعبين فقط ولكن على مستوى المنطقة بشكل عام، حيث تسارعت الخطوات التقاربية المتبادلة والتي توجت بقرار (القمة الخليجية الثانية والعشرين) الخاص بقبول اليمن في عدد من مؤسسات مجلس التعاون (ديسمبر ٢٠٠١م).

ولاشك ان الحديث عن البعد الإقليمي والدولي يقتضي الإشارة هنا إلى الأهمية الاستراتيجية بالنسبة لدولة الوحدة ،فبالإضافة إلى الثقل السكاني واتساع المساحة الجغرافية بتضاريسها ومكوناتها المتعددة فإن اليمن تملك أطول شاطئ بحري في المنطقة (حوالي ٢٢٠٠ كيلو متر) وتطل على أهم الممرات المائية الدولية.

كما أن اليمن التي تشكل الحزام الاستراتيجي بالنسبة لمنطقة شبه الجزيرة العربية ،فإنها بموقعها تعتبر جسر العبور السياسي والحضاري العربي الاسلامي نحو إفريقيا.

٥– وحيث أن اليمن جزء لايتجزأ من هذا الإقليم أرضا وإنسانا وتاريخا وحضارة، فإنها وهي تبدي هذا الاهتمام وتبذل ما في وسعها من جهد تجاه موضوع تعزيز التعاون والتكامل والتقارب الإقليمي فإنما تنطلق من مسلمات وثوابت أساسية قوامها الدين واللغة والجوار والهموم المشتركة والمصير المشترك.

وتعي في نفس الوقت ان التطورات المتلاحقة التي عاشتها وتعيشها المنطقة أثبتت بما لايدع مجالا للشك تشابك المصالح وترابطها، ولم يعد بإمكان أحد العيش بمعزل عن الآخرين وان مستقبل الأجيال هو مستقبل واحد ،وكل طرف لديه ما يقدمه في هذا المعترك.

فلدى اليمن إمكانات اقتصادية واعدة وكثافة بشرية هائلة وهو بهذا يمثل مكسبا لدول الجزيرة والخليج.

كما أن اليمن تشكل سوقاً واسعة قادرة على إنعاش الدورة الاقتصادية لدول المنطقة ،والمساهمة في جعل المنطقة قادرة على مواجهة التكتلات الاقتصادية الإقليمية والدولية.

ولاشك ان الأحداث التي شهدتها دول الجزيرة والخليج في السنوات الأخيرة أثبتت بجلاء أن أمن المنطقة كل لايتجزأ وأن دور اليمن وتعاونها أصبح حاجة ملحة وضرورة أساسية.. وهو ما يعني بالتأكيد ان اندماج اليمن داخل المنظومة الإقليمية سيساهم بشكل أساسي في ان تصبح المنطقة أكثر أمناً وأكثر قدرة على مواجهة التحديات الخارجية بما فيها موجات العنف والإرهاب .. وبالتالي فإن هذا الاندماج سيقوي من تماسك المكونات السياسية والاجتماعية على مستوى المنطقة بشكل عام، وذلك بما يساهم في التصدي لمشاريع الهيمنة والتفتيت القادمة من الخارج..

● رئيس مركز دراسات الجزيرة والخليج.

أفاق

وذو الشوق القديم..!

■،، جاءت زيارة الرئيس الموريتاني معاوية ولد الطايع لأخيه الرئيس علي عبدالله صالح في صنعاء رسالة محبة وشوق قديم، فعرب موريتانيا حسب مرجعياتهم وموروثهم الشفاهي وأحاديثهم المرسلة وأشعارهم القحة الشديدة الفصاحة ينحدرون من أصلاب القبائل اليمنية التي عبرت الصحاري وسلاسل الجبال المنيفة والشطآن المطلة على الجانب الآخر من العالم في المتوسط والمحيط الاطلسي فمنهم من عبر إلى الاندلس ومنهم من اتجه إلى أرض «شنقيط» وكأنهم يرددون ويجسدون قول الشاعر الجاهلي:

ملأنا البر حتى ضاق عنا
ونحن البحر نملوه سفينا

ولليمنيين في الهجرات تاريخ وأي تاريخ ولا يزالون حتى يوم الناس هذا يحثون الخطى صوب المشرق والمغرب وأنى اتسعت لهم النفوس وانفرج مجال العمل ولذلك اعتبر الاخباريون العربِ اليمن خزان العرب البشري.

وقد أهدى إليَ الأخ وزير الثقافة والسياحة الاستاذ خالد الرويشان كتاب «الجامع» في نوابغ العرب والعجم المتحدرين من أصول يمنية للاستاذ المؤرخ الراحل محمد عبدالقادر بامطرف طيب الله ثراه وكان قد صدر في اربعة مجلدات ثم جمع في مجلد واحد أنيق بطباعة فاخرة وستعجب كل العجب من تلك الكوكبة العظيمة من الرجال العظماء والبيوت الكبيرة والقادة البارزين الذين لمعوا تحت كل سماء في اوروبا وآسيا وافريقيا وقد امتدت مهاجرهم الآن إلى قلب اوروبا والامريكيتين واستراليا، أما شبه القارة الهندية وماليزيا وأرخبيل اندونيسيا فحدث ولا حرج ،فقد نقلوا الاسلام والحضارة وروح التمدن إلى تلك الاصقاع النائية بدأب عجيب حتى اندمجوا في بيئاتها وصاروا جزءا من بنيتها وضاعت رسومهم على الزمن لم يبق من آثارهم سوى ما كان يبقى من البدو الرحل الذين يجرون وراء الماء والكلأ فيخلفون الآثافي رماد النار الذي لا تلبث الرياح حتى تذروه بددا.

فضل النقيب

ولقد كان للصحراء الموريتانية الملتفة حول نفسها ورمالها الكاوية فعل القمم المتجمدة فاحتفظت بالسلالات صافية تتجسد ملامح في الوجه وكلاما على اللسان، وكنا أيام الدراسة في القاهرة لا نستطيع التمييز بين الموريتانيين واليمنيين وكم يا مقالب حدثت من هذا التشابه العجيب وآخر ما وقع لي من لبس قبل أيام قليلة فقد كنت عائدا من المكلا إلى صنعاء وكان بجانبي رجل لم أشك لحظة أنه من اليمن وكان بيدي غصن قات عرضته عليه عندما رأيته مجهداً بعض الشيء محاولاً أن يأخذ غفوة كما هي عادة ركاب الطائرات ، وقد سألني باستغراب وشيء من الدهشة: ما هذا أيها الأخ، وعرفت انني وقعت في مطب التشابه والتشبيه.. فقلت من انت ومن أي بلد ،فقال أنا السفير الموريتاني في صنعاء ، وقد رحبت به بما يليق بمقامه ، ثم أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا ، نعم .. مرحبا بالرئيس الموريتاني واخواننا الموريتانيين وحي الله الشوق القديم:

وذو الشوق القديم وإن تسلى
مشوق حين يلقى العاشقينا

وعد بلفور.. للبيع!

سالم الجهوري*

● الظهور المفاجئ قبل يومين للمسودة التي كتبها بلفور وزير الخارجية البريطاني السابق المتضمنة وعدا بقيام وطن قومي لليهود على أرض فلسطين الصادر في ٢ نوفمبر ١٩١٧م في يد ملاك صالة سوثبي للمزادات يحمل جملة من الأسئلة!

فكيف تظهر مسودة بهذه القيمة التاريخية للبيع بين ليلة وضحاها وبدون مقدمات ومبررات أو مناسبة ما، وهي التي غيرت معالم الشرق الأوسط وحددت مفاصل العلاقات بين دول المنطقة منها العربية وغيرها بالقوى العظمى على مدى قرابة قرن؟

وكيف تظهر من وراء ظهر المعنيين المباشرين لهذا الوعد المستفيدين منه أولاً وأخيراً على مدى العقود الماضية ساهمت في إيجاد وطن ومأوى لهم!

ولأنها ليست في وقتها فكان على من يملك مثل هذه الوثائق إخراجها إلى الوجود في مناسبة كمرور ٥٠ سنة مثلاً أو ١٠٠ سنة على إصدار الوعد المشؤوم خاصة وأنه لم يتبق على المئوية سوى ١٢ عاماً لتكون أكثر قبولاً.

ربما تكون هناك بعض المبررات لهذا الظهور كتخلص ملاك الوثيقة منها بعد أن أثقلهم الذنب الذي أفصح عنه البعض في أكثر من مناسبة بأنه لم يكن مبرراً وكان عاطفياً أكثر مما كان رؤية سياسية وأضر بحقوق الشعب العربي الذي ضحى به دون مراعاة المصالح معه في بداية القرن الماضي بدءاً من اتفاقية سايكس – بيكو ١٩١٦م والتأكيد في سان ريمو ١٩٢٠م.

أو أن هناك صياغة لوعد آخر قادم في الطريق لاغتصاب أرض عربية ثانية، وحتى لايضاف رقم آخر على سابقه قد تقرر ان يرمى الوعد الأول في محرقة التاريخ.. ولم نحتاج إلى وعد آخر فقد احتلت العراق دون "بلفور" تحت "وعد الحرية والديمقراطية" وكذلك دون الحاجة لانتظار القوي عشرات السنين لتنفيذه كما حدث مع السابق.

الأغرب أن يهود العالم أعطوا ظهورهم لإعلان البيع هذا وكأن الوعد لا يعنيهم رغم انه اوجد لهم كيانا ومأوى من الشتات بعد ان تم التحضير له في بقاع الدنيا أكثر من قرن ونصف القرن ونفذ على أرض الواقع على حساب جثث ودماء الشهداء.

كان يخيل الينا لعهد قريب أن مثل هذه السودات التاريخية وصكوك الاغتصاب حجج تملكها الحكومة الإسرائيلية وتخفيها عن أعين التاريخ في صناديق مغلقة داخل دهاليز مظلمة تحت الأرض كما تفعل في مشاريعها السرية.إلا أن وعد بلفور بالنسبة لهم أصبح كأي سلعة تباع مع أنه لايعادل بثمن لشعب الشتات الذين ربما يستكثرون دفع استرليني واحد فيه خلال المزاد القادم لأنه لم يعد يهمهم في شيء، فالوطن قائم والتوسع مستمر وإيذاء الآخرين كل يوم، استقواء بالدول الكبرى في منطلق الدفاع عن النفس.

فليس بعد هذا أي مبرر للاهتمام ببلفور وما فعله لهم من وعد جميل اوفى به عام ١٩٤٨م بقرار أممي.. رحل صاحب الوعد ولو كان يعلم أن مسودته التاريخية ستباع كأي تحفة رغم المخاطرة لفكر أكثر من مرة.

* صحافي عماني..